## المسرح ومشكلة البحث عن ممثلة!

# الأسباب عديدة ومتنوعة وهي لاتنفصل عن التداعيات التي حصلت في الوطن

كتابة: عبد اللطيف الراشد

مهدي الحسيني

سوسن شكري

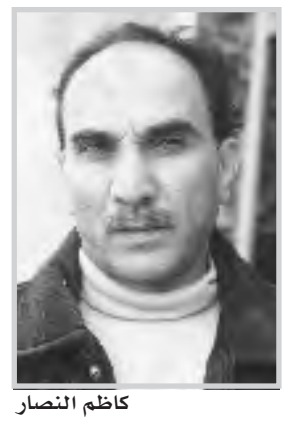
كاظم النصار

عزام صالح

يعزو أغلب الفنانين والفنانات المسرحيين وذوي الشأن في (دائرة السينما والمسرح) وقسم المسرح في كلية الفنون الجميلة من أساتذة وطلبة، ظاهرة غياب العنصر النسوي عن منصة المسرح العراقي العريق في تجاربه الابداعية، الى غياب الاستقرار الأمني، فيما يرى آخرون ان الحضور النسوي في المشهد المسرحي العراقي يعود الى أسباب عديدة اهمها الخلل الاستراتيجي في القيم الفنية والجمالية والفكرية التي تسود عالم المسرح منذ وقت طويل.
(المدى) استطلعت آراء مخرجين وكتاب مسرح وفنانين وخرجت بهذه الحصيلة..

د. وليد شامل، رئيس قسم الفنون المسرحية في كلية الفنون الجميلة، كان أول المتحدثين في هذا الاستطلاع، فقال:

-ترتبط فنون العرض المرئية، وأعني بها المسرح الدرامي والمسرح الموسيقي والباليه بالعمل الجماعي، الذي هو في الاساس عمل اجتماعي يمتلك صفات التبلور والنماء والتطور مع حالة التطور للمجتمع ككل.

وأضاف:- ثمة مجتمعان- في تقديري- ينبغي على الفنان ان يفرق بينهما، الاول كبير وواسع، هويته الوطن أو (العراق) على وجه التحديد.

والثاني، صغير ومعزول، صفته (الفرقة المسرحية) التي ينتمي اليها هذا الفنان.. وبالنظر للظروف الاستثنائية التي يعيشها المجتمع الكبير في المرحلة الراهنة، فضلاً عن المحن والويلات التي عشناها منذ بداية العقد الثمانيني المنصرم، كان من الطبيعي ان تنعكس افرازاتها على المجتمع الصغير، او الفرقة المسرحية بشكل خاص، فهي النواة الحقيقية لاي نشاط فني واجتماعي وترفيهي، خصوصاً وان المسرح فن جماعي، تشكل المرأة فيه جزءا جوهريا لايمكن البتة الاستغناء عنه.. لذا فان نكوص المرأة العراقية عن خوض هذا الميدان، هو نتيجة محتومة لذلك الارتباك الذي حدث بالمجتمع الكبير.

نحن الان في قسم الفنون المسرحية نعاني من النقص الحاد في اختيار الطالبات لهذا القسم، ولنا استراتيجياتنا الخاصة في عمليات الجذب والقبول والاستبعاد من أجل الخيارات المسرحية الجادة في قبول فنانة المسرح الجادة، ونعاني في الحقيقة من تركة الماضي، خصوصا في مراجعتنا للحركة المسرحية منذ السبعينيات وحتى الآن، بعد ان ساهمت فرق المسرح التجارية التي تهدف الى الربح السريع في استقدام فتيات من خارج الوسط الفني المعروف.

### إنموذج جديد يمكن الاحتذاء به

وحدثنا الفنان المخرج كاظم النصار عن هذه الظاهرة، قائلاً:

-يبدو لي ان الحضور النسائي في المشهد المسرحي العراقي كان نوعياً، وليس كميا، وهذا النوع يتمثل بمجموعة اختارت ان تعمل لنفسها انحيازاً للعمل الجمالي العالي والمؤثر.. وبالمقابل، فقد اختارت افواج آخرى من غير المثقفات مسارب المسرح الاستهلاكي والدراما التلفزيونية بجميع انواعها.

هناك خلل واضح، والاسباب عديدة ومتنوعة، وهي لاتنفصل عن مجمل التداعيات التي حصلت بعد سنين طوال من الحروب والمحن والويلات، فضلاً عن حصار اقتصادي جائر، كان من نتائجه تبلور مفهوم الربح السريع والشهرة السريعة الزائفة على حساب القيم الفنية والجمالية والفكرية في المسرح.

وأضاف النصار:

-لو تفحصنا جيداً مستوى الممثلات العراقيات قياساً الى المشهد العربي، لوجدنا بعضهن يأخذ الصدارة، ولكن العلل والمشكلات ذاتها -للاسف- تنطبق على الجميع، ومنها قلة الاخلاص والمزاجية وانعدام الستراتيجية وغياب المشروع الجاد والمهم.

هناك فعلا ازمة ممثلة عراقية، وأرى ان استقرار الاوضاع في العراق مستقبلاً، سيفرز اجيالاً جديدة، تاخذ على عاتقها حالة الانغمار في ابراز المشهد المسرحي.. وبالمناسبة، هناك وضوح وأهمية للممثلات الكرديات وحضورهن وكميتهن، بسبب أوضاعهم واستقرارهن.. وهذا النموذج يمكن الاحتذاء به..

### التغييب ومظاهر التعسكر

باسم الحجار ممثل ومخرج مسرحي من جيل الثمانينيات، تحدث لنا عن اسباب غياب العنصر النسوي عن منصة المسرح، قائلاً:

-غياب العنصر النسوي عن منصة المسرح العراقي، له أسباب كثيرة، تقف في مقدمتها، حالة الغياب الثقافي وقصور الوعي النسائي، واسباب اجتماعية اخرى، في مقدمتها الخوف والشرعية الدينية السلفية، التي لايمكن بأي حال من الاحوال تجاوزها، او الافتئات عليها..

واستطرد الحجار في تعليل هذه الظاهرة، قائلاً:

-في سبعينيات القرن الماضي، كانت الثقافة العراقية ومنها (المسرح)، تطرح أسماء ساطعة، مثل ناهدة الرماح وزينب ومي شوقي وانعام البطاط، بسبب الانفتاح الجدي الذي كان ينمو في أواصر المجتمع العراقي عموماً.. ولاأنكر ان للنظام المنحل، دوراً هائلاً في تغييب ثقافة المرأة وطمسها في خانة ربة المنزل، التي تنتظر قدوم الزوج من أتون المعارك التي خاضها النظام بفوضوية واستهتار معلنين.. وهذا مانعكس على الثقافة العراقية، او الثقافة المسرحية بشكل خاص الذي كان من نتائجه غياب العنصر النسوي عن المنصة، الامر الذي يتطلب اعادة صيرورة المجتمع بشكل يرتقي الى مستوى الطموح لدى المثقف، وطمس مظاهر التعسكر التي مازالت بقاياها تطوف هنا وهناك..

### دور السلطة الذكورية

ويتساءل الفنان المسرحي الشاب ضياء القهار عن اسباب ودواعي هذه الظاهرة، قائلاً:

-في الحقيقة، ان العنصر النسوي بالنسبة للمسرح العراقي محدود جداً، وهذا يعود الى مرجعية المسرح كمنبر أولاً، فهو يحتاج الى شجاعة من نوع خاص، واعتقد ان مجريات الواقع الراهن واضطهاد المرأة منذ زمن طويل، شكلا تراجعاً ملحوظاً لدى أغلب الفنانات العراقيات، عن المشاركات في اعمال مسرحية متعددة، على الرغم من الايمان الكامل بحضور المرأة واهمية وجودها في كل زمان ومكان..

شخصياً قال -القهار- أتذكر زكية خليفة وزينب ومي شوقي وغزوة الخالدي في سبعينيات القرن الماضي.. ولكننا، للاسف الشديد، افتقدنا مثل هذا الحضور النسوي الملحوظ على منصات المسرح العراقي منذ وقت طويل.. لقد كان النظام السابق نظاماً ذكورياً وكانت حصيلتنا من نتاجات ذلك النظام، حالات التردي الاجتماعي والنفسي، التي انعكست بشكل واضح على تطور حركة المسرح، خصوصاً من خلال شخصيتي المجرم والعاهرة، وتجلياتهما الواضحة على مشهدنا المسرحي منذ زمن الطاغوت السابق!

### الفصل التعسفي أحد الاسباب

الفنان المسرحي الشاب عباس شهاب، له وجهة نظر أخرى، حيث قال: اجد ان حالة الفصل التعسفي بين البنين والبنات في معهد الفنون الجميلة، أحد اسباب هذه الظاهرة المؤسفة.. ولهذا، لانستبعد حالات الغياب المتعمد للعنصر النسوي في المشهد المسرحي منذ منتصف التسعينيات الماضية وحتى الان..

وبالنظر، لحالات لحروب والحصار، فان كل العناصر الرجالية والنسائية قد غابت عن المشهد المسرحي، والقليل منها انهمك بفاعلية الدراما التلفزيونية وماتدر عليها من أموال، على العكس من منصات المسرح التي تتطلب ميزانيات طويلة الامد.. وهذا في اعتقادي، السبب الاول في تشرذم قبيلة المسرح عن منصاتها العتيدة، فالمال، ثم المال، ثم المال، هو السبب..!

### العبرة في طالبات المسرح

وفي كلية الفنون الجميلة، كان لنا هذا الحوار مع البعض من طالبات قسم الفنون المسرحية:- حيث تقول الطالبة (بتول كاظم شياع):

-غياب العنصر النسوي في المسرح العراقي، له أسبابه الموضوعية، منها غياب الامن والاستقرار، فضلاً عن غياب الوعي لدى الجمهور منذ زمن بعيد، الذي لايفصل بين الادوار التمثيلية والحياة الاجتماعية لكل فنانة او طالبة مسرح.. والسؤال، ماذا اقول لاهلي والناس ان مثلت يوماً دور (غانية) كما يتطلب نص المسرح في اكثر الاحوال؟!

أما الطالبة (بيكرد أحمد) فتحدثت:

-عزائي في ماقدمت من اعمال مسرحية متعددة في كردستان وايران، وماحصلت عليه من جوائز وشهادات تقدير متعددة، اما فيما يتعلق بغياب العنصر النسائي عن خشبة المسرح العراقي منذ زمن طويل، فهذا الامر باعتقادي، له اسباب متعددة، ومنها هجرة المراة الفنانة عن هذه الخشبة بسبب الضغوط المستمرة لحالات الديكتاتورية، وافرازاتها النفسية والاجتماعية على أجيال كاملة من الفنانات المسرحيات، وقد تتجلى هذه الافرازات في يومنا الراهن بسبب عدم الاستقرار الامني.

وتقول الطالبة إيمان عبد الحسن:

-أنا شخصياً مع مستقبل العراق، خصوصاً في معركته السياسية قبل مرحلة الانتخابات القادمة، لي شخصيتي الفنية القادمة، وأعرف كيف أتعامل مع المنصة المسرحية، فضلاً عن معرفتي بتوغل الغجريات الى منصاتنا المسرحية تحت عنوان (المسرح التجاري).

واضافت:

-لست معنية بهذا التراجع، ولست معنية ابداً بالنماذج الجديدة التي ستطأ منصات المسرح العراقي، ولكنني على وجه العموم يحدوني الامل، في حيوية الساحة المسرحية كلها، وضرورة تقديم نفسي بديلاً جدياً لحالات الغياب في المسرح العراقي.

### من خارج الاستطلاع

### عدنان منشد

ان تكون مخرجاً مسرحياً في هذا الزمن الصعب، فتلك مصيبة.. وان تبدأ القراءات والتمرينات الاولى على النص المقترح من دون (ممثلة) فالمصيبة.. اكبر.

اعرف انني بهذا الرأي، سأثير المواجع والتنهدات، وسأستقبل العداوات، خصوصاً من الجنس الناعم المحسوب على منصات المسرح العراقي.. ولكنني -بالتأكيد- سأشير الى الجانب المخفي والمسكوت عنه في حياتنا المسرحية، بعد ان طفح الكيل وضاقت بنا السبل.

فالمفارقة الاشد ايلام هي ان يترافق سلوك ممثلاتنا المسرحية مع نكوص المخرج في قيادة الانتاج المسرحي، بفعل عوامل موضوعية خارجة عن ارادته عند تكليفه او اختياره لاحد نصوص المسرح، فضلاً عن مايثيره هذا المخرج وذلك النص من محفزات ومشهيات، أولها السخاء المادي والمعنوي، واخيرها الترقب والانتظار لبطاقة السفر بكل هواجسها واحلامها وافعالها وردود أفعالها.. فأغلب فناناتنا الراسخات المجتهدات يعملن حالياً على وفق المبدأ الاخير.. لايهم ان يتقاعدن فنياً لعشر سنوات، مادام (التلفزيون) ببركة المسلسلات والحلقات المتتالية يؤكد وجودهن امام ذاكرة الناس-موسمياً- ان لم يكن يومياً او اسبوعياً أوشهرياً.

جلست مؤخرا مع مخرج صديق ليحدثني عن مشاركته في مهرجان المونودراما القادم، فإذا هو يتكلم بألم واسى عن بعض الممثلات الشابات المتحمسات للفن المسرحي.. تأتي أحداهن، فتتلقف النص منك، شاكرة ممتنة، لتواصل التمرين ليومين او ثلاثة.. ثم تنقطع فجأة دونما عذر أو اعتذار.. وتأتي اخرى، لتمسك النص نفسه، فتغيب اسبوعاً كاملاً، ثم تبرر هذا الغياب بارتباطات الكاميرا التلفزيونية.. وتجلس ثالثة معك لتقرأ النص باستمتاع واستجابة قلبية، لتصدمك في الاخير برفضها، ثم تسوغ هذا الرفض بالضحك والدلال والغنج.

واذا كانت مشكلة هذا الصديق البحث عن ممثلة في دور (أميرة) فتصوروا معي مشكلة صديق آخر يبحث عن ممثلة في دور أقل من أميرة واكبر بكثير من متسولة، مع العلم ان طاقمه التمثيلي يضم فيما يضم فنانين راسخين في المسرح والسينما والاذاعة والتلفزيون ومصيبتهم -وربما فضيلتهم- انهم يعملون حتى هذه اللحظة دون ممثلة.

ذاكرة

# الفنان قاسم صبحي: هذه هي ذكرياتي مع فرقة ١٤ تموز

المدى/ خاص

في سعينا الحثيث لاحياء فرقنا المسرحية الاهلية، التي غاب حضورها المتميز منذ ثلاثة عقود على وجه التقريب، سعينا بشكل جاد لمفاتحة القائمين على هذه الفرق، خصوصاً وان وزارة الثقافة قد استجابت مشكورة لاستطلاعنا السابق عن واقع هذه الفرق ومشكلاتها وشجونها، فشكلت لجنة برئاسة الفنان عادل كوركيس من أجل الارتقاء بهذه الفرق واحياء عودتها بشكل معافى صحيح الى منصات المسرح العراقي.. هنا، مداخلة للفنان الرائد قاسم صبحي حول أحوال واعمال فرقته المسرحية التي تشكلت بعد ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨، وسميت بإسمها.. نأمل منها استجابة روادنا الاخرين في الحديث او الاستذكار عن فرقهم المسرحية الرائدة..

عاصرت فرقة مسرح ١٤ تموز للتمثيل منذ عام ١٩٦٦، حيث شاركت في العديد من اعمالها المسرحية والتلفزيونية والاذاعية.. ومنذ البدء أقول، ان هذه الفرقة كانت عائلة متجانسة، يحب بعضهم البعض، بفاعلية استاذنا المؤسس اسعد عبد الرزاق والفنان الراحل وجيه عبد الغني، وجهود الاخرين، ومنهم قاسم الملاك وفاضل جاسم وسمير القاضي وزاهر الفهد، وغيرهم الكثيرون.. وكان هاجسنا تقديم الاعمال التي ترضي الناس والمحبين.

لن أنسى ماحييت، ذكرياتنا في شهر رمضان الكريم، حيث كما نجلب فطورنا معنا داخل مؤسسة الاذاعة والتلفزيون لتقديم الاعمال الرمضانية باسم الفرقة، خصوصاً وان البث انذاك كان حياً وغير قابل للتسجيل، ولانشغالنا في العمل التمثيلي لامجال هناك للتفرغ او التقاط النفس، خصوصاً في هذا الشهر، وكان يشاركنا في الفطور كادر البث الاذاعي والتلفزيوني..

من المفارقات، اننا كنا نتدرب على الاعمال التلفزيونية قبل ان تبث بشكل حي الى الناس، ثم يأتي من يأتي من المسؤولين ليحذرنا بان النص غير صالح للعرض، فنسعى لتقديم البديل، ونتدرب على العمل من جديد ونقدمة في الليلة ذاتها.. ان ما امتازت به فرقة ١٤ تموز للتمثيل هو تأسيسها لمدرسة او منهج واقعي في العمل المسرحي، تحمل بصمتها الى يومنا هذا.. خصوصاً في أعمالها المسرحية المعروفة للجميع.. (الدبخانة).. (عرس واويه).. (ايدك بالدهن) .. (جفجير البلد).. (اللي يعوفه الحرامي ياخذه فتاح الفال) ومسرحيات اخرة مازال الكثير يردد فواصلها والبعض من حواراتها، ومنها (خان بطران).. (كملت السبحة) و (مملكة الشحاذين).. اما على صعيد الاعمال الدرامية في التلفزيون، فللفرقة العديد من الاعمال، منها (قسمة ونصيب) وخماسية (المكائن).. (مع الخالدين).. لاأغالي ان قلت، ان فرقتنا اختطت لطريقها هدفاً واضحاً وملزماً لمنتسبيها، هو العمل الشعبي الذي يلبي طموح الناس جميعا، من دون فئة بعينها على وجه الخصوص.

ذات يوم، كنا نقوم بتوزيع ملصق لاحد اعمالنا المسرحية في شارع الرشيد وفيه صورة كاركاتيرية لبعض مجريات هذا العمل، فأستوقفت الصورة موكب وزير الداخلية آنذاك، فترجل من سيارته بصحبة حماية، محاولاً الوقوف عما يفعل بعض الشباب في لصق هذه الصورة على الحائط، معتقداً انها منشور معاد، وما ان تعرف على وجوهنا حتى ضحك مقهقهاً، وقال: استمروا في فنكم. علي ايضاً، ان اذكر ان فرقة ١٤ تموز شاركت في العديد من مهرجانات المسرح العالمي في العراق، وفي اية مناسبة يطلب منها تقديم عمل من دون ان تتاح لها فرصة المشاركة بأية فعالية مسرحية عربية او دولية!

كانت اجور الفنان لدينا لاتتجاوز الدينارين او الثلاثة.. وللمزاح، فقد كان تأجير الحمار او الحصان لاعمالنا التلفزيونية او المسرحية مايقارب خمسة او سبعة دنانير!

كانت فرقتنا تجاور مبنى الاذاعة والتلفزيون في الصالحية، وكنا جميعاً نعاني من هول المحن والاضطرابات السياسية، خصوصاً في العقد الستيني المنصرم فكان كلما يحدث انقلاب عسكري، تطوق الاذاعة والشوارع المجاورة لها، ويدخل الجميع في انذار غير متفق عليه، والمضحك المبكي، اننا نخرج بعد ذلك احراراً، على الرغم من هول المعارك وزخات الرصاص!

لقد لاقت الفرقة في سنواتها العشر الاولى حضوراً جماهيرياً واسعاً، ونالت استحسان الكثير من الاوساط الثقافية والفنية والرسمية. ولكن هذه الفرقة -للاسف- بدأت تنزوي ويتبعثر جهدها لاسباب معروفة للجميع، وكان التحاق عدد من اعضائها الى الفرقة القومية للتمثيل احد الاسباب المهمة في توقف نشاطها المسرحي والدرامي بشكل كامل!

ولهذا أقول، ان فرقة ١٤ تموز اضمحلت منذ وقت بعيد، خصوصاً بعد ان انشغل رئيس الفرقة ومؤسسها الاول الاستاذ اسعد عبد الرزاق في عمادة معهد الفنون الجميلة ثم عمادة الاكاديمية فيما بعد، فضلاً عن انتساب الفنان الراحل وجيه عبد الغني الى دائرة السينما والمسرح، فبات من المستحيل جمع اعضاء الفرقة في مكان واحد أو عمل مسرحي جديد!

ومن المفرح اخيراً، ان يسعى رئيس الفرقة في الوقت الحاضر، الى اعادة هيكلة الفرقة بعناصر جديدة من المعهد وكلية الفنون الجميلة، من دون الاستعانة بالكادر القديم.. وهذا مايتطلب جهداً مضاعفاً، ولسنوات عديدة حتى تتكامل صورة فرقة مسرح ١٤ تموز للتمثيل من جديد!